Journal of Foreign Languages, Cultures and Civilizations
December 2014, Vol. 2, No. 2, pp. 45-62
ISSN 2333-5882 (Print) 2333-5890 (Online)
Copyright © The Author(s). 2014. All Rights Reserved.
Published by American Research Institute for Policy Development
DOI: 10.15640/jflcc.v2n2a3
URL: http://dx.doi.org/10.15640/jflcc.v2n2a3

Language Proficiency and Language Acquisition in Arabic: The Meaning and Terminology

Abdulkareem Said Ramadan[1]

الكفاءة اللغوية واكتساب اللغة
دلالة واصطلاحاً

عبد الكريم سيّد رمضان

ملخص البحث

من الفضلة القول إن اللغات الحية هذه الأيام تحفل بدراسات كثيرة في مسارب متعددة للنشاط اللغوي وما يتصل به من ظواهر، إلا أن أكثر هذه الدراسات إثارة وعمومية الدراسات التي تنظر في تطور المعرفة اللغوية من جهة، والدراسات التي تخلص إلى وسائل علمية لقياس المعرفة اللغوية من جهة أخرى.

ويعد مصطلح الكفاءة اللغوية واحداً من المصطلحات التي تدور على ألسنة المشتغلين بتعليم اللغات، والباحثين في اللغويات النظرية أو التطبيقية. وقد قام كثير من الباحثين والمؤسسات العلمية والبحثية بالكتابة عن ضرورة وضع اختبارات للكفاءة اللغوية، وكان أن أصبحت هذه الاختبارات فيما بعد شرطاً ضروريًا للحصول على الوظائف أو الترقي الوظيفي أو الدراسة في كثير من الجامعات الغربية.

فمتى نشأ هذه المصطلح؟ وما الظروف التي رافقت نشأته وتطوره؟ وكيف تطور مفهوم الكفاءة في الدرس اللغوي الحديث؟

يحاول هذا البحث الإجابة عن هذه الأسئلة ويعرض تعريفات هذا المصطلح والفروق بينه وبين مصطلح اكتساب اللغة.

[1]300 North Washington Street, Gettysburg College, Campus Box 390, Gettysburg, PA 17325 USA. Office: 717-337-6816, Fax number: 717-337-8583,
Email address:aramadan@gettysburg.edu

Abstract

The most important are studies focused on language knowledge development and studies that create language assessment tools."Language proficiency" is a term that has been consistently used by teachers and linguists. Some scholars and institutions started writing language proficiency tests, and then, these tests became a very important condition for work or study in America or the United Kingdom.This article discusses the history of the term "language proficiency," as well as the difference between language proficiency and language acquisition.

Keywords: Arabic, language assessment, linguistics, applied linguistics, Arabic applied linguistics language standard

تمهيد:

يـجمع مصطلحُ (الكفاءة اللغوية) ذاتُه بين مفهومين اثنين:

كالكفاءة واللغة، وشأن اللغة التي ستُعتَمَد مقياساً في هذا البحث شأن عظيم وقضية شائكة؛ فهي هدف للمتعلم، وينبغي أن يكون هذا الـهدف واضحاً بيناً، على أنني أجد أن أفضل مـخرج من هذا هو القول إن اللغة التي نريدها هنا هي ذلك الإنتاجُ اللغوي السليم البعيد عن الخطأ المُخلِّ بالفهم في اللغة والقواعد والنطق والاستلام، وهي وسيلةٌ للفهم والتواصل؛ مفرِّقاً بين ما يتعلمه الإنسان وما ينتجه لغةً، والواقع الحي للغة التي يتعلمها. ولهذا يـجد الـمرء صلة وثيقة وتشابهاً كبيراً بين ما ينتجه الـمتعلم والواقعِ الحي للغة من حيث وجودُ بعض الأخطاء؛ إلا أن هذا الـمتعلم عليه أن يدرس اللغة الخالية من اللحن الـمخلّ بالأصول أو الفهم ويـحاولَ إنتاجها، وأن يفهم الناسُ كلامه ويتواصل معهم.

المطلب الأوّل:الـمعنى اللغوي للكفاءة:

يرجع معنى الكفاءةلغةً -فيمـا يرجع إليه إلى فكرة التمـاثل والتساوي والتناظر أو الـمشابهة والـمطابقة كما تذكر المعاجم ولا أدل على تلك الـمعاني والـمرامي من كلام ابن فارس ت 395هـ:

الكاف والفاء والهمزة أصلانِ يدلُّ أحدُهما على التلَوِي في الشَّيئين، ويدلُّ الآخر على الـمَـيْل والإمالة والاعوجاج؛ فالأول كافأت فلاناً، إذا قابلتَه بمثلِ صنيعِه.

والكُفء المِثْل. قال الله تعالى: [وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ] [الإخلاص4]. والتكافؤ التَّساوِي. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "المسلمون تتكافأ دماؤُهم"، أي تتساوى. وأمَّا الآخر، فقولُهم: أكفأتُ الشيءَ، إذا أمَلْتَه. ولذلك يقال أكفأتُ القِدْرَ، إذا أمَلْتَ رأسَهَا ولم تَنْصِبْها حين ترمِي عنها"[1] ويجمع ابن منظور ت 711 هـ المعاني المختلفة في مادة (كفأ) فيقول:

كَافَأَهُ على الشيء مُكافأةً وكِفاءً: جازاه. تقول: لي به قِبَلٌ ولا كِفاءٌ أَي ما لي به طاقةٌ على أَن أُكافِئَه. وقول حَسَّانَ بن ثابت[2]:

وَرُوحُ القُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

أَي جبريلُ، عليه السلام، ليس له نَظِير ولا مَثيل. وفي الحديث: فَنَظَر إِليهم فقال مَن يُكافِئُ هؤُلاء. وفي حديث الأَحلاف: قاوِمُ مَن لا كِفاء له، يعني الشيطانَ.

ويروى لا أُقاوِلُ والكَفِيءُ، وكذلك الكُفْءُ والكُفُوءُ، على فُعْلٍ وفُعُولٍ. والمصدر الكَفَاءةُ، بالفتح والمدّ.

وتقول لا كِفَاء له، بالكسر، وهو في الأَصل مصدر، أَي لا نظير له. والكُفْءُ: النظير والمُساوِي. ومنه قيل للنِّكاح، وهو أَن يكون الزوج مُساوِياً للمرأَة في حَسَبِها ودِينِها ونَسبِها وبَيْتِها وغير ذلك. وتَكافأَ الشَّيْئان: تَماثَلا. وكافأَه مُكافأَةً وكِفاءً: ماثَلَه.

ومن كلامهم: لله ّ كِفاءَ الواجب؛ أَي قَدْرَ ما يكون مُكافِئاً له. والاسم الكَفاءة والكَفاءُ. قال[3]:

أَنْكَحَها، لا في كَفَاءٍ ولا غِنىً زِيادٌ، أَضَلَّ اللهّ ُ سَعْيَ زِيادِ

وفلان كُفْءُ فلانة إِذا كان يَصْلُح لها بَعْلاً، والجمع من كل ذلك: أَكْفَاء..."[4]

أما المعجم الوسيط فيقول: "...(الكِفاء): يقال لا كِفاء له: لا مماثل... (الكفاءة): المماثلة في القوة والشرف. ومنه الكفاءة في الزواج: أن يكون الرجل مساوياً للمرأة في حسبها ودينها وغير ذلك. و ـــ للعمل: القدرة عليه وحسن تصريفه (مولدة)"[5]

وفي المعجم العربي الأساسي "كفاءة ج كفاءات:

1- حالة تكون فيها مساواةٌ بين شيئين (كفاءة الزوج لزوجته في الحسب والنسب)

2- قدرةٌ على العمل وحسن تصرفٍ فيه (كفاءة فنية نادرة), (خبير ذو كفاءة)، (توجد كفاءات كثيرة في البلاد العربية).

شهادة الكفاءة: شهادة التخرج (شهادة الكفاءة في التدريس)"[6]

أما الكفاءة اللغوية مصطلحاً وتركيباً واحداً فهي مجال البحث ومداره، وسأضرب صفحاً عن حشد ما بقي من معاني الكفاءة في معاجم اللغة لألتفت إلى معنى الكفاءة اصطلاحاً، وإنما أردت بإشارتي إلى كون هذا المصطلح مبنيّاً من كلمتين اثنتين أن أبين اتصال الجزء الثاني (اللغة) بمفهوم آخر(الكفاءة) وهو (أي الكفاءة)ذو دلالةٍ مختلفةٍ من حيث الأصلُ لغةً ومعنى، لكنه متصلٌ بالجزء الأول (اللغة)من حيث طبيعةُ آلية اكتساب اللغة نفسها ثم إنتاجها وتقويمها.

المطلب الثاني:المعنى الاصطلاحي للكفاءة اللغوية وتطوُّره:

يُعرَفُ مصطلح الكفاءة اللغوية في كتب علم اللغة أو اللسانيات النظرية منها والتطبيقية في اللغة الإنكليزية بالمصطلح الآتي(Language Proficiency)على أنه تجب الإشارة إلى أن البدايات كانت أبحاثاً تتصل بعلم النفس وعلم الإنسان؛ إذ تعود بذور هذا المصطلح ومراحله الأولى غير المباشرة إلى "الفترة مابين 1920 و1970 بجهود حثيثة بذلها بعض الباحثينمثل: ثورستون (Thurstone) وكارول (Carroll) وجليفورد (Guilford) وسبيرمان(Spearman) وبرت (Burt) وجنسن(Jensen) الذين كان هدفهم في البداية اكتشاف أسس تركيب القدرات العقلية بما في ذلك القدرة اللغوية. ويعد جون أولر(John Oller) أول من أخذ بهذه الأبحاث من باب علم النفس إلى باب اللسانيات التطبيقية." (7)

ولا تخفى على الباحث صعوبة إيجاد تعريف جامع مانع للكفاءة اللغوية يبين حدودها ومعناها كما يقر بذلك جيونغ ون لي (Jeong-Won Lee)وديان ليمونير سكارلرت (Diane Lemonnier Schallert) فيقولان:"ليس من السهل نظرياً - تحديد مفهوم الكفاءة اللغوية بما أنه يرتبط بالقدرة اللغوية، وبالوعي بعلم ما وراء اللغة(8)فضلاً عن القدرة العضوية على الكلام والاستماع والقراءة والكتابة بأشكال سياقية مناسبة.

استخدم الباحثون تعريفات كثيرة ليعبروا عن المقصود بالكفاءة اللغوية؛ فقد ميَّز هايمز(Hymes) بين المقدرة اللغوية أواللسانية أو المعرفة بقواعد اللغة ونظامها، والمقدرة على التواصل أو معرفة القواعد الاجتماعية لاستخدام اللغة.

وحدّد كانيل (Canale)وسوين(Swain) أربعة أصناف ثانوية من القدرة التواصلية:

1- المقدرة اللغوية (القواعد).

2- الإنتاج الكلامي.

3- اللغويات الاجتماعية.

4- الاستراتيجية والتنظيم.

وهذه المقدرة اللغوية تشير إلى المعرفة التامة بالمواد المعجمية والنحو" (9)

يعرّف معجم(Longman) لتعليم اللغة واللسانيات التطبيقية الكفاءة اللغوية بأنها "مستوى المهارة أو الجودة لشخص ما في القراءة والكتابة والكلام أو فهم اللغة، وهذا المستوى يمكن أن يتباين تبعاً لمستوى التحصيل اللغوي.)(10)

أمّا معجم الاختبارات اللغوية فيميز بين ثلاثة أنواع من الكفاءة:

(1-النمط العام للمعرفة أو القدرة على استخدام اللغة بغضّ النظر عن الطريقة أو الظروف التي تمّت بها عملية اكتساب اللغة.

2-القدرة على إنجاز شيء محدّد باللغة المكتسبة(11)

3- الأداء اللغوي بناء على نتيجة امتحان لغوي محدد مثل (توفل TOEFL)" (12)

وقد ذهب بعض الباحثين كـ (R.A. Shulz)إلى ربط الكفاءة اللغوية بمفهوم الاتصال أو التواصل، أي أنَّ "الكفاءة تعني القدرة على استقبال الرسائل وإرسالها في مواقف الحياة المختلفة"(13) ولا يخفى على المرء خطر هذا التعريف ونقصه؛ إذ لم يعرّج على السلامة اللغوية والدقة في التعبير، وهذا يعني، على نحوٍ ما، أنه قد نُظِر إلى اللغة بوصفها طريقاً للتواصل الاجتماعي- وهي كذلك في وجه من وجوهها- وليس بوصفها نشاطاً لغوياً خاضعاً للقياس والتقويم من حيث الصحة والسلامة، وأن الغرض هو التواصل دون النظر إلى صحة القواعد وسلامة التعبير والنطق.

ولعل تعريف (J.W. Larson)و(R. L. Jones) للكفاءة بأنها "القدرة على التواصل اللغوي بدقّة"(14)يعيد لمفهوم الكفاءة طابعه اللغوي؛ إذ أبقى لها وظيفتها الاجتماعية، وأعاد لهاالصبغة اللغوية السليمة تجنباً لأي سوء فهم قد يحدث بسبب البعد عن السلامة والدقة في اللغة.

أما مارك ريشل فيرى أن الكفاءة اللغوية هي (القدرةُ اللغوية للشخص التي تكمن وراء كل نشاطات هذا الأخير في تعامله مع اللغة...وطبيعي –والحالة هذه- أن يستحيل النفاذ إلى الكفاية بصورة مباشرة؛ إذ لا يمكنإلا استنتاجها انطلاقاً من أفعال الأداء اللغوي، وبهذا المعنى تمثل الكفاية بناء فرضياً وتقوم المشكلة كلها على البت في الوقائع التي يتعين أخذها بالاعتبار لتحديد الكفاية وفي الوقائع التي يتعين استبعادها بوصفها وقائع غير مناسبة) (15)

ويفضّل براين نورث (Brian North) تعريفين للكفاءة اللغوية، ويزعم أنهما أسهلُ تعرفين وتحديدين لمفهوم الكفاءة:

"الأول: أن الكفاءة هي درجة النجاح المتوقعة لشخص ما ليكون على مستوى مستخدم للغة في الإطار العام، وهذا تعريف مورو(Morrow).

الثاني: المقصودبقولنا عن شخص ما إنه بارع أو محترف في اللغة أنّ ذلك الشخص يستطيع أن يقوم بأشياء محددة بتلك اللغة [التي برع فيها] وهذا تعريف إنغرام (Ingram)"[16]

والكفاءة كما يراها عبد المنعم أحمد بدران (درجة المهارة التي يتمكن بها الطالب من استخدام اللغة العربية لغرض محدد مثل إتقانه المفردات اللغوية والقراءة الناقدة والقواعد النحوية والتذوق الأدبي والإملاء والاستماع) [17]

ويذكر الدكتور محمد علي الخولي نوعين من الكفاءة:

"الكفاءة الشفوية: قدرة المرء على التعبير بالكلام

والكفاءة الكلامية: قدرة المرء على تكلم اللغة المنشودة"[18]

ويبدو ديفيد ولكينز (David Wilkins)مبالغاً قليلاً في تعريفه الكفاءة اللغوية؛ إذ يرى أنها هي كفاءة متكلم بلغته الأم[19] وعلى ذلك لن يصل إلى الكفاءة إلا عددٌ محدود من متعلمي اللغة الثانية؛ لأن بلوغ درجة ناطق باللغة العربية لمتعلم أجنبي مثلاً من الصعوبة بمكان خاصة في النطق واستخدام الثروة اللفظية والبلاغة الأسلوبية. ثم إنه لم يحدد مستوى لغة هذا الناطق أهو أمي أم متعلم مثقف؟

ولعل أكثر التعريفات تفصيلاً ودقة تعريف سبولسكي(Spolsky) الذي يرى أن مصطلح الكفاءة "إلى جانب تركيزه على المعرفة اللغوية، وعلى اكتشافه من خلال اختبار الأداء اللغوي، يشير إلى عمليات تقدُّم استخدام اللغة بدلاً من الانصراف إلى النظر في عمليات تَشكُّل الكفاءة ذاتها"[20]

وقد قدّم سبولسكي (Spolsky)توصيفاً مفصلاً للكفاءة اللغوية، وربطه بمفهوم معرفة اللغة، كما أسّس لمعايير تقويم الكفاءة بوضعه شروطاً وصفاتٍ للكفاءة اللغوية:

"الكفاءة: معرفة اللغة.أفضّل القول عن شخص ما إنه يعرف اللغة الثانية إذا كان قد حقق أو ألمَّ بواحد أو أكثر من المعايير أو الشروط الآتية:

أ- المهارات ودقائق المعرفة اللغوية وأسسها.

ب- ما يقاس و ما لا يقاس.

ج- الأداء على المستويات المختلفة(الحقيقة والمجاز).

د- سلامة الإنتاج اللغوي في الصوت، والقواعد، والاستخدام...إلخ.

هـ- إنتاج لغوي بوحدات أسلوبية متنوعة.

و- أداء المهارات الوظيفية.
ز- القيام بأهداف لغوية محددة.
ح- الإنتاج اللغوي بكفاءة عامة وشاملة.
ط- القدرة على الإنتاج والتلقي.
ي- الإنتاج بدرجة محددة من الدقة.
ك- الإنتاج بدرجة محددة من الطلاقة.
ل- الإنتاج بأشكال وأنواع لغوية متنوعة."[21]

في تعريف سبولسكي (Spolsky) توصيف مفصل لمفهوم الكفاءة اللغوية وشروطها وهو يرى أن الكفاءة اللغة معرفة اللغة، والمعرفة هنا تقتضي سياقاً علمياً معيناً بعيداً عن التلقائية أو العمومية، لكنه لم يحدد درجة هذه المعرفة أو كمَّها، وكان يستطيع أن يقول على سبيل المثال : أدنى معرفة للغة أو المعرفة الجيدة للغة... إلخ تاركاً ذلك لحديثه عن المعايير والشروط التي تبدو للوهلة الأولى عامة فضفاضة؛ لذا لا بد من تقييدها وتحديدها، فضلاً عن أن هذه المعايير تنطبق في معظمها على المتعلم في المراحل المتوسطة والمتقدمة خاصة.

بعض هذه النقاط والتوصيفات تجري على المبتدئين والمتقدمين جميعاً؛ فالمبتدئ يُطلب منه أن يقوم بكل ذلك ولكن في حدود إمكاناته، ولعل المثال الآتي يوضح ذلك:

إذا أراد متعلم في المستوى المبتدئ أن يعرِّف بنفسه فَعَلَ ذلك بكلمات قليلة سطحية ومحدودة، أما المتقدم فله أن يعرّف بنفسه بإسهاب وطرائق وأساليب متعددة، إذاً يقال إن الاثنين عبّرا عن وظيفة لغوية، أو هدف تواصلي هو التعريف بالنفس، إلا أن عليهما أن يأتيا بذلك بدرجة من الدقة والسلامة تناسب مستوييهما اللغويين المختلفين.

ويبدو فولمر (Volmer)"تقنياً جداً بتعريفه الكفاءة بأنها ما يقيسه امتحان اللغة"[22] وهذا ما يراه أيضاً ستانسفيلد (Stansfield) وكرانك (Krahnke) وألدرسن (Alderson)[23]

وأرى تعريف الكفاءة اللغوية بأنها درجة إتقان الأداء اللغوي في سياق حي بناء على المعرفة اللغوية.

وإذا كان هذا المصطلح قد استقر وأخذه مكانته في الدرس اللغوي الحديث فإن "الجدل العقيم والحيرة، ومنذ 1982 يحيطان بحقيقة تكوّن هذا المصطلح وظهورهفي هذا الميدان"[24].

ومـمـا يـجدر ذكره هنا أن مصطلح الكفاءة اللغوية قد سار ذِكْره، ولـهجت به الألسن في بداية السبعينيات على الأرجح على الرغم من أن قياس الكفاءة بدأ في الخمسينيات[25] وتحديداً في عام 1959م عندما طالبت لجنة الخدمة المدنية بتكوين أساسٍ عملي لجرد المستوى اللغوي للموظفين الحكوميين في الولايات المتحدة ومن ثم تطوير سجل لمهاراتهم اللغوية أو الكفاءة اللغوية وخلفياتهم. وفي ذلك الوقت لم تكن فكرة المستويات اللغوية أو الكفاءة اللغوية معروفة أو شائعة في المجال الأكاديمي لذلك كانت العبارات المتداولة في ذلك الوقت (مثل): طليق في... أو ممتاز في... أو يتكلم الـ ... بطلاقة فضلاً عن أنه لم يكن هناك في ذلك الوقت معايير لبناء اختبار الكفاءة اللغوية، ولذلك كانوا يستخدمون كلمات كالتي ذكرتها قبل قليل (طليق /جيد جداً ...) على أنها معايير أو مقاييس لتقييم اللغة، ومن هنا وجدت لجنة الخدمة المدنية أن الحكومة بحاجة إلى أن تُطور مثل هذه المقاييس وتدعم البرامج والبحوث اللازمة لذلك، وهكذا بدأ معهد السلك الخارجي أو الأجنبي (F.S.I) العمل بلجنةٍ رأسها الدكتور هنري لي سميث عام 1952م، وابتكرت هذه اللجنة مقياساً من ستة مستويات (من1 إلى 6) ولكنه لم يميز أو يفرق بين المهارات الأربع، بل تعامل مع اللغة على أنها كل لا يتجزأ.

واستمرت المناقشات والأبحاث حتى سنة 1955م عندما طبّق الامتحان على العاملين في وزارة الخارجية الأمريكية، وكانت النقطة المهمة في المستويات (من 1 إلى 6) هي:صالح لغوياً للعمل.

طبق الامتحان رسمياً اعتماداً على المعايير الذكورة في 1956/11م وأظهرت النتائج أن 25% فقط من العاملين في وزارة الخارجية الأمريكية في الوزارة والسفارات هم: (صالح لغوياً للعمل) ومن ثمّ قررت وزارة الخارجية في عام 1958م أن يكون اختبار الكفاءة اللغوية إلزامياً لكل الموظفين.

وقد وجد الأكاديميون أن امتحان الكفاءة اللغوية الذي طُبق في تلك الفترة لا يوثق به، ولا يمكن تطبيقه بثبات بما أنه ينطبق في لغات ولا ينطبق في أخرى؛ وهكذا كانت الحاجة إلى مراجعات وتقويمات لِيُتَوصل في النهاية إلى إنشاء مكتب مستقل للاختبارات في معهد السلك الخارجي في عام 1958م برئاسة رايس وكلاوديا وايلدس كما تمت الاستعانة بالبروفيسور جون كارول.

وطور المعهد الخاص بالاختبارات في معهد السلك الخارجي نسخ الامتحانات والمقاييس المتعلقة بذلك ليصل في النهاية إلى مقياس من 6 نقاط (0= ليست هناك قدرة لغوية وظيفية، 5 = متعلم ناطق باللغة الأم) وراح

الباحثون في هذا المكتب يطورون في هذا الاختبار وفي المقياس الذي يقوم عليه (وتقوم عليه فكرة: الكفاءة اللغوية) كما قرر الباحثون أنيستبدلوا بالمقياس الذي ينطلق من قياس اللغة ككل مقياساً جديداً لكل مهارة لغوية واهتموا على نحو خاص بالجانب الشفوي وابتكروا توصيفاً جيداً لقياس الإنتاج اللغوي الشفوي وهذا التوصيف أتاح تقليل الأخطاء والعثرات التي واجهت النسخ.

وشيئاً فشيئاً أصبح توصيف المقابلة الطريق القياسية للاختبار في معهد السلك الخارجي وأصبح معروفاً حول العالم بـ (مقابلة معهد السلك الخارجي) أو (معهد السلك الخارجي).

وقد لاقى توصيف المقابلة والاختبار والمقياس التابع له والتي ابتكرها معهد السلك الخارجي رواجاً واعترافاً كبيرين كما تبنته أجهزة حكومية كثيرة.

وفي عام 1973م ابتكرت (The I.L.R)مقياساً جديداً، ووضع هذا المقياس ليلبي حاجات خاصة لوكالات وهيئات ومؤسسات حكومية وخاصة ما يتصل بتعليم اللغة واختبارات اللغة.

والجدير بالذكر أنه شارك في ذلك العمل: معهد السلك الخارجي وهيئات / حمائم السلام، ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية ووكالة الأمن الوطني، ومعهد لغة الدفاع ووزارة التربية ومؤسسات أخرى، واعتمدت التوصيف الجديد لما يُسمى اليوم (I.L.R).

في هذه الأثناء لا بد أن يذكر المرء أن منظمة حلف شمال أطلسي اعتمدت توصيفات / وثيقة 1968م. ويضاف إلى ذلك أن توصيفات (I.L.R) تمت مراجعتها عام 1985م وأضيف إليها ما يُسمى بمستوى زائد (مثلاً 0 ، 0+ ، 1، 1+ ، 2 ، 2+ ، .....)، وفي عام 1983م طور المجلس الأمريكي لتعليم اللغات الأجنبية (ACTFL)مقياساً جديداً للاستعمال الأكاديمي استناداً إلى مقياس (I.L.R) وخدمة الاختبار التربوي (E.T.S)وهذا المقياس الذي ابتكره المجلس الأمريكي للغات الأجنبية مصممٌ للمتعلم الأكاديمي وهو بطبيعة الحال بتكوينه وخلفيته وأهدافه مختلف عن الموظف الحكومي اختلافات شتى فالمتعلم (الموظف الحكومي) يحتاج في الصف أو المجال الذي يتعلم فيه اللغة إلى ما يلبّي أهم حاجاته وهي متطلبات العمل اليومي الذي يقوم به في دولة أجنبية لا تتكلم لغته الأم في حين أن المتـعلم (الطالب/ الجامعي) يدرس عادة اللغة الأجنبية بوصفها جزءاً من دراسته أو أداة لبحثٍ علميِ يقوم به مع الإشارة إلى اختلافات أخرى بين المتعلمَين في البرنامج وعدد ساعات الدراسة والواجبات .....الخ.[26]

المطلب الثالث: مصطلح (اكتساب اللغة):

تنبغي الإشارة إلى أن ثمة مصطلحاً آخر يتصل بمصطلح الكفاءة اللغوية ألا وهو مصطلح اكتساب اللغة (Language Acquisition)وهو كما يعرّفه الدكتور محمد الخولي "أن يتعلم المرء لغته الأولى أو لغة ثانية أو لغة أجنبية"[27] وهناك اكتساب اللغة الأولى (First LanguageAcquisition) واكتساب اللغة الثانية(SecondLanguage Acquisition) أو اكتساب اللغة الثالثة والرابعة...إلخ.

يعرف معجم (Longman) لتعليم اللغة واللسانيات التطبيقية؛ اكتساب اللغة بأنه:"عمليةٌ تعلم شخص ما لغةً ما وآليةٌ تنمية هذه اللغةِ.

يسمى تعلم اللغة الأم (اكتساب اللغة الأولى) وتعلم اللغة الثانية أو الأجنبية (اكتساب اللغة الثانية). ويَستعمل بعض المنظّرين مصطلحي(التعَلُّم) و(الاكتساب)مترادفين، بينما يصرُّ آخرون على الفرق بين المصطلحين، مستعملين:

1-تعلّمُ للدلالة على تلك العملية الواعية التي تَتضمّنُ دراسةَ قواعد اللغةِ وأحكامها، ومراقبة الأداء اللغوي لشخص ما، كما يحدث في أغلب الأحيان، وعلى نحو مثالي، في صفوف التعلّمّ فيسياق يقوم على لغةٍ أجنبية.

2- اكتساب: للإشارة إلى تلكالعملية الاعتباطية لاستقبال اللغة وإنتاجها في ظروف التعرّضِ إلى عمليات فهم اللغة واحتوائها في ذهن المتعلم عندما يكون انتباهه منصباً على المعنى بدلاً مِن الشكل أو البناء اللغوي وما زالَ آخرون يَستعملون (اكتساب)للإشارة إلى تعلّم اللغة الأولى فقط"[28]

ويعرف لاري سلينكر(Larry Selinker) و سوزان جاس(Susan M. Gass) اكتساب اللغة الثانية بأنه (تعلم لغة أخرى بعد تعلم اللغة الأم ... بغض النظر عن كونها اللغة الثانية أو الثالثة أو الرابعة أو الخامسة. ونعني بهذا المصطلح تعلم اللغة الثانية في إطار صفي, أو في حال التعرض الطبيعي غير الصفّي للغة الثانية)[29] وهذا التعريف يشير إلى أمر مهم هو أن عملية اكتساب اللغة وتنميتها للوصول إلى الكفاءة اللغوية أكبر من أن تحبس في إطار تعليمي، أو تحصر في صفوف ومؤسسات تعليمية؛ لأن من شأن ذلك أن يهضمها حقها، وكذلك لا يمكن بحال من الأحوال تجاوز الظروف العضوية والنفسية والاجتماعية لاكتساب اللغة وقصر ذلك على العملية التعليمية؛ فلن يتعلم إنسان لغة لأنه وضع في أحسن معهد أو جامعة لتعليم اللغات دون الأخذ بعين الاعتبار الوجود الحقيقي لظروف اكتساب اللغة.

أما جون أولسون فيرى أن اكتساب اللغةليس فطرياً بل يحتاج إلى جهد وينبغي أن يمر بمراحل مختلفة فيقول عن اللغة " إنها خاصية مكتسبة وليست موروثة فهي ليست مثل بصمة اليد أو الحمض النووي للفرد DNA علاوة على ذلك، تكتسب اللغة على مراحل، وليس دفعة واحدة، ويستمر الأفراد في اكتساب اللغة خلال حياتهم"[30]

تعد عملية اكتساب اللغة المرحلة الأولى للكفاءة اللغوية التي ستكوْن لاحقاً ثمرة اكتساب اللغة ونتيجة لها لأنها -أي عملية اكتساب اللغةتعد في العوامل الكبرى للوصول إلى الكفاءة في سلّم المستويات اللغوية؛ فهُما مفهومان متلازمان لا ينفك أحدهما من الآخر، وإذا لم تكن عملية اكتساب اللغة جاريةً في ظروفها الطبيعية أو النظامية فلا يتوقع المرء كفاءة لغوية يعوَّل عليها؛ لأن المراحل الأساسية للكفاءة اعتلّت، وشروط بناء الكفاءة اللغوية انتفَت، والفرق بينهما أن الاكتسابَ هو أداةُ الوصول إلى الكفاءة، وليس مرحلة أدنىنها، وكلما اكتسب المتعلم شيئاً أو كمّاً جديداً من اللغة زادت كفاءته اللغوية.

مفهوم تشومسكي:

يرى تشومسكي أن لدى المتكلم قواعد أو مخزوناً لغوياً أو قاعدة بيانات يبحث فيها ثم يختار منها ما يناسب تلك القواعد الموجودة لديه أصلاً، وذكر " أن أداة اكتساب اللغة التي تستوفي الشروط اللازمة قادرة على الإفادة من المخزون أو البيانات اللغوية الأساسية، وأن هذه الأداة ينبغي أن تبحث في مجموعة الفرضيات المحتملة للقواعد الموجودة أساساً، ثم تختار القواعد التي تتفق مع البيانات اللغوية الأساسية"[31] ورأى تشومسكي أن "الطفل الذي يكتسب اللغة بهذه الطريقة يعرف أكثر مما تعلّم، وأن معرفته باللغةِ التي تـُحدَّد بقواعده المضبوطة أو المستلهمة تتجاوز حدود البيانات اللغوية الأساسية الظاهرة لنا. لاكتساب اللغة ينبغي أن يختار الطفل من مخزونه الكامن من اللغة والقواعد، إلا أنه منالمحتمل منطقياً أن تكون البيانات غنية ودرجة القواعد محدودة، ومن ثم لن تكون هناك قواعد منفردة مقبولة ومتفقة مع البيانات اللغوية إذا أردنا أن نتحدث عن نجاح عملية اكتساب اللغة"[32]

وقد ضرب تشومسكي مثلاً على جملة يقولها صحيحةً ناطقٌ باللغة دون أن نعرف أنه قالها صحيحة لأنه يعرف القاعدة أو لأنه يعرف أن القاعدة صحيحة، أما متعلم اللغة فيخطئ في الجملة لأنه لم يتعلم هذه القاعدة [33] كما أشار تشومسكي إلى أهمية تعلم اللغة الثانية، والنظر إلى وجود القواعد في الذهن " قد

تزودنا دراسة لغة ما بأدلة حاسمة تتعلق ببنية لغة أخرى غيرها، وذلك إذا ما استمررنا في قبول الافتراض المعقول بأن البشر يشتركون جميعاً في القدرة على اكتساب اللغة، وهي موضوع النحو الكلي." [34]

وقد رفض بعضهم أفكار تشومسكي هذه، ورأوا أن قبولها سيجعل من اللغة "كموضوع للاستقصاء الأكاديمي، شيئاً أكثر بيولوجية من كونها اجتماعية"[35]

فرّق تشومسكي في كلامه على اكتساب اللغة وإنتاجها بين مفهومين اثنين:

القدرة أو الملكة اللغوية، والأداء اللغوي، وقال:"لدراسة الأداءاللغويالفعلي، يجبأنناخذ بعين الاعتبارتفاعُلمجموعة منالعوامل، ومنها القدرة الأساسيةللمتكلم –المستمع. لا تختلف دراسة اللغة في هذا المجال عن البحثالتجريبيفي الظواهر الأخرى المعقّدة؛ وهكذا نستطيع أننجد فرقاً أساسيً بين القدرة(competence) (إدراكسامع-متكلمللغته) والأداء(performance) (الاستعمال الفعلي للغة في الواقع)... الأداءُ انعكاسللقدرة"[36]

أما مارك ريشل فيرى أن الكفاية اللغوية هي: "القدرة اللغوية للشخص التي تكمن وراء كل نشاطات هذا الأخير في تعامله مع اللغة، هذه النشاطات التي تتحقق فيها الكفاية تحققاً فعلياً . وطبيعي – والحالة هذه- أن يستحيل النفاذ إلى الكفاية بصورة مباشرة. إذ لا يمكن إلا استنتاجُها انطلاقاً من أفعال الأداء اللغوي، وبهذا المعنى تمثّل الكفاية بناء فرضياً وتقوم المشكلة كلها على البت في الوقائع التي يتعين أخذها بالاعتبار لتحديد الكفاية وفي الوقائع التي يتعين استبعادها بوصفها وقائع غير مناسبة"[37]

وعليه يمكن القول إن ترجمة مصطلح (Competence) بالكفاية أو الكفاءة[38]ليست دقيقة، وأفضلَ ترجمة لهذا المصطلح (القدرة) أو (المَلكة) أو (القُدرة اللغوية) أو(المَلكة اللغوية) [39]، وكل ذلك لا يتصل بمفهوم مصطلح (الكفاءة اللغوية)الذي يبدو متأخراً عن القدرة اللغوية أو الملكة اللغوية؛ فقد يمتلك المتعلم كل مقومات اللغة أو يدركها لكنَّ أداءه اللغوي لا يمثل هذا الإدراك أو لا يوازي درجته؛ فالقدرة تُعامَل على أنها تشير إلى اللغة بمعنى ما يشكّل المقدرة على التكلم باللغة، ويشير الأداء من ناحية أخرى إلى الأقوال الفعلية التي يُصدْرها مستخدمو اللغة، والنقطة الأساسية أنه قد لا يكون هناك دائماً تناظر دقيق بين أقوال المتكلم والقوانين اللغوية للغة." [40]

أما الأداء اللغوي في اللغة العربية، فهو كما يقول الدكتور محمود السيد "يشكو الضعف إذ لم تتمكن تربيتنا في الأعم الأغلب من تكوين المهارات اللغوية، ولا العادات اللغوية لدى المتعلمين." [41] ثم ساق الدكتور السيد بعد ذلك مظاهر الشكوى من ضعف الأداء في اللغة العربية ككثرة الأخطاء التي يرتكبها المتعلمون والمعلمون، والقصور في عملية التعبير اللغوي، والقصور الواضح في مهارة الاستماع، والقصور في تمثُّل المقروء، والعزوف عن القراءة الحرة، والفقر في الرصيد الحفظي من الشواهد الشعرية والنثرية، وعدم تمكن بعض المتخرجين من البحث في المعاجم عن كثير من الكلمات[42]

وثمة مصطلح آخر هو (المعرفة اللغوية) أو (المعرفة باللغة) كما يسميها تشومسكيChomsky ويعرّفها بأنها: "القدرة العملية على التكلم والفهم... قد يشترك شخصان بالضبط في نفس المعرفة باللغة، لكنهما قد يختلفان اختلافاً كبيراً في قدرتهما على استخدام هذه المعرفة. كما قد تتحسن القدرة على استخدام اللغة أو تتدهور دونما تغير في المعرفة. وقد تفسد هذه القدرة أيضاً بصورة انتقائية أو عامة دونما فقدان للمعرفة"[43].

ويلاحظ هنا إغفال للدقة اللغوية؛ فالمعرفة تتحدّد بتلك القدرة على الفهم والتكلم، ومن المعروف أن الفهم يحصل باللغة وغيرها من أدوات التواصل، وبالفصيحة والعامية، وبلغة سليمة أو مشوبة بأخطاء، لكنه من جهة أخرى يشير إلى الفرق بين المعرفة اللغوية والمقدرة اللغوية، وارتباط كل منهما بالآخر من حيث التطور أو التدهور.

إذاً تعد عملية اكتساب اللغة المرحلة الأولى للكفاءة اللغوية التي ستكون لاحقاً ثمرة اكتساب اللغة ونتيجة لها؛ لأنها- أي عملية اكتساب اللغة- تعد في العوامل الكبرى للوصول إلى الكفاءة في سلم المستويات اللغوية فهُما مفهومان متلازمان لاينفك أحدهما من الآخر، وإذا لم تكن عملية اكتساب اللغة في ظروفها الطبيعية أو النظامية فلا يتوقع المرء كفاءة لغوية يعوَّل عليها؛ لأن المراحل الأساسية للكفاءة اعتلّت، وشروط بناء الكفاءة اللغوية انتفَت، والفرق بينهما أن الاكتساب هو أداة الوصول إلى الكفاءة، وليست مرحلة أدنى منها فكلما اكتسب المتعلم شيئاً أو كمّاً جديداً من اللغة زادت كفاءته أو مستوى كفاءته اللغوية.

هوامش البحث:

([1]) مقاييس اللغة (كفأ) 5/ 189

([2]) شرح ديوان حسان 6

([3]) البيت ليحيى بن نوفل يهجو العريان بن الهيثم. ينظر: الكامل للمبرد 582/2

([4]) لسان العرب(كفأ)

([5]) المعجم الوسيط ص 791

([6]) المعجم العربي الأساسي ص 1046

([7]) ينظر The Development of Second Language Proficiency 9

([8])علم ما وراء اللغة، أو علم اللغة الما ورائي علم يدرس الظواهر المرتبطة باللغة؛ مثل: الدلالات الاجتماعية للفروق بين اللغات، والعلاقة بين اللغة والحضارة، والسمات الصوتية النادرة. ينظر: معجم علم اللغة النظري: ص 168

([9]) ينظر:716 ص TESOL Quarterly, Volume 31, Number 4 ¬ Winter 1997-

([10]) ينظر: Longman Dictionary of Language Teaching and Applied Linguistics 292

([11]) فالكفاءة اللغوية (بالعربية) لأجنبي يريد دراسة العربية للعمل مديراً لشركة تعني قدرته على القيام بمتطلبات هذا الهدف وتحقيقه باستخدام كل الوظائف اللغوية التي يقوم بها أي مدير ناطق باللغة الأم من تعليل، وإسداء نصح، ومدح وذم، وغير ذلك من الوظائف اللغوية.

([12]) Dictionary of Language testing153

([13]) Second Language Proficiency Assessment 13

([14]) المصدر نفسه ص 13

([15])اكتساب اللغة 32

([16]) The Development of Common Framework Scale of Language Proficiency 41

([17])ينظر: مهارات ما وراء المعرفة ص 63

([18])معجم علم اللغة النظري 87، 113

([19]) An Encyclopedia Of Language290

([20]) The Development of Common Framework Scale of Language Proficiency 42

([21]) المصدر نفسه ص 42

([22]) The Development of Common Framework Scale of Language Proficiency 41

(23)ينظر: TESOL Quarterly, Volume 31, Number 4 ¬ Winter 1997- ص 716

(24) Second Language Proficiency Assessment 11

(25)بتصرف يسير Dictionary of Language Testing 153

(26) وما بعدها Second Language Proficiency Assessment 1

(27) معجم علم اللغة النظري ص 148

(28) Longman Dictionary of Language Teaching and Applied Linguistics 295

(29) ينظر 4Second Language Acquisition

(30) علم اللغة القضائي ص 39.

(31) ينظر: 32Aspects of Theory of Syntax

(32) المصدر نفسه ص 32.

(33) ينظر : المعرفة اللغوية ص442

(34) المعرفة اللغوية ص 100

(35) علم اللغة التطبيقي لقاي كوك ص 51

(36) ينظر: 4Aspects of Theory of Syntax

(37)اكتساب اللغة ص 32.

(38) ينظر على سبيل المثال: معجم لونجمان لتعليم اللغات وعلم اللغة التطبيقي ص130، اكتساب اللغة ص32 كما مرّ في الحاشية السابقة، وفي قائمة المصلحات في الكتاب ذاته ص 207، نظريات تعلم اللغة الثانية ص 8و 407، أساسيات علم الكلام ص 26.

(39) ينظر: معجم علم اللغة النظري ص49، معجم علم اللغة التطبيقي ص20 اللغة تدريساً واكتساباً ص 169، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات ص 28

(40) علم اللغة النفسي- تشومسكي وعلم النفس ص 121

(41) في الأداء اللغوي ص 91

(42) ينظر: المصدر نفسه ص 92 وما بعدها.

(43) المعرفة اللغوية ص 64.

الخاتمة

كانت الحاجة إلى ظهور مصطلح الكفاءة اللغوية راجعة إلى حاجات سياسية وأمنية في البداية إلا أن تدخل الأكاديميين أدى إلى إسباغ الصفة العلمية البحثية على هذا المصطلح، ومن ثم ارتبط بتعليم اللغات الثانية والامتحانات وأبحاث اكتساب اللغة الثانية.

إن المعاني والدلالات التي يشير إليها مصطلح الكفاءة اللغوية لم تختلف على الرغم من تعدد المشارب المعرفية والنظرية للعلماء الذين أدلوا بدلائهم في محاولة تعريف الكفاءة اللغوية واكتساب اللغة، وقد ساعد هذا على نحو ما إلى أن ينظر إلى تطور المستوى اللغوي نظرة علمية دقيقة وثاقبة فضلاً عن فهم أعمق لعمليات تعلم اللغة الثانية التي تبدأ بالاكتساب وتنتهي الكفاءة التي بدت مستوى عالياً يقترب من مستوى الناطق باللغة.

لقد دعَمَ ظهور هذا المصطلح فكرة المعايير والمقاييس المستخدمة في قياس الكفاءة اللغوية والامتحانات اللغوية أو التقويمللغوي من جهة، وجعَلَ تعلُّم اللغة وتطور المستوى اللغوي من العمليات العلمية الدقيقة لا الاعتباطية من جهة أخرى، وهذا مما يمكن من قياسِ تعلم لغة ما وسرعة هذا التعلم وطرائق تطوير هذه السرعة وتنميتها فضلاً عن النظرِ في عملية تعلم اللغة وبرامج تعليم اللغة وتأليف كتب تعلم اللغة والمناهج بناء على مستويات الكفاءة اللغوية وتدرج ذلك من السهل إلى الصعب بما يلائم توصيف المستوى اللغوي المنشود؛ لأن المادة اللغوية المعتمدة قد صُنفت تبعاً لمستويات الكفاءة اللغوية.

المصادر والمراجع

أ- العربية:

ب-

أساسيات علم الكلام-د. جلوريا ج. بوردن و د. كاثرين.س.هاريس- ترجمة الدكتور محيي الدين حميدي- دار الشرق العربي- حلب-بلا ط- بلاتا.

اكتساب اللغة- مارك ريشيل- ترجمة: د. كمال بكداش- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- كلية التربية- الجامعة اللبنانية-بيروت- الطبعة الأولى- 1984

شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري- وضعه وصححه عبد الرحمن البرقوقي، المطبعة الرحمانية بمصر، القاهرة، 1929م

علم اللغة التطبيقي- تأليف أ.د قاي كوك-ترجمة يوسف بن عبد الرحمن الشميمري- جامعة الملك سعود- النشر العلمي والمطابع- الرياض- بلا ط- 2008.
علم اللغة القضائي، مقدمة في اللغة والجريمة والقانون- تأليف د. جون أولسون- ترجمة د. محمد بن ناصر الحقباني- جامعة الملك سعود- النشر العلمي والمطابع- الرياض- بلا ط- 2008.
علم اللغة النفسي، تشومسكي وعلم النفس- جوديث جرين- ترجمة وتعليق د. مصطفى التوني- الهيئة المصرية العامة للكتاب- بلاط -1993.

في الأداء اللغوي- الدكتور محمود أحمد السيد- سلسلة قضايا راهنة(8)- منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية- دمشق- بلا ط-2005.
الكامل في اللغة والأدب- للمبرد، محمد بن يزيد ت285هـ، تحقيق: د. محمد أحمد الدالي، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م

لسان العرب- لابن منظور ت711هـ- بعناية أمين محمد عبد الوهاب وزميله- دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ الإسلامي -بيروت- الطبعة الثالثة- 1999.

اللغة تدريساً واكتساباً - الدكتور محمود السيد- دار الفيصل الثقافية الرياض- الطبعة الأولى- 1988.
المعجم العربي الأساسي- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- لاروس-بلا ط- بلا تا
معجم علم اللغة التطبيقي- محمد علي الخولي- مكتبة لبنان- بيروت- الطبعة الأولى- 1986.
معجم علم اللغة النظري- محمد علي الخولي- مكتبة لبنان- بيروت- الطبعة الأولى- 1982
معجم لونجمان لتعليم اللغات وعلم اللغة التطبيقي- تأليف جاك سي. ريتشاردز ورفاقه- نقله إلى العربية الدكتور محمود فهمي حجازي والدكتور رشدي أحمد طعيمة- تحرير وجدي رزق غالي- مكتبة لبنان ناشرون، بيروت والشركة المصرية العالمية للنشر –لونجمان، مصر- الطبعة الأولى- 2007.
المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- مكتب تنسيق التعريب- تونس- بلا ط -1989.

المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية- مكتبة دار الشروق- القاهرة- الطبعة الرابعة- 2004

المعرفة اللغوية-طبيعتها وأصولها واستخدامها- نوم تشومسكي- ترجمة الدكتور محمد فتيح- دار الفكر العربي- القاهرة- الطبعة الأولى- 1993.

مقاييس اللغة- لابن فارس ت 395 هـ- تحقيق عبد السلام محمد هارون- دار الفكر (طبعة مصورة) بلا ط- بلا تا

مهارات ما وراء المعرفة وعلاقتها بالكفاءة اللغوية- الدكتور عبد المنعم أحمد بدران- العلم والإيمان للنشر والتوزيع- كفر الشيخ- الطبعة الأولى 2009

نظريات تعلم اللغة الثانية- تأليف روزاموند ميتشل وفلورنس مايلز- ترجمة د. عيسى بن عودة الشريوفي- جامعة الملك سعود- النشر العلمي والمطابع- الرياض- بلا ط- 2004 هـ.

ب- بالإنكليزية:

(1997). TESOL Quarterly, 31 (4). Chomsky, Noam. Aspects of Theory of Syntax. The Massachusetts Institute of Technology, I965

Collinge, N.E. (Ed.). (1990). An Encyclopedia of Language. New York: Routledge.

Gass, Susan M. & Selinker, Larry. (1994). Second Language Acquisition: An Introductory Course. Hillsdale, New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates.

Harley, Birgit, Allen, Patrick, Cummins, Jim & Swain, Merrill (Eds.). (1996). The Development of Second Language Proficiency. Cambridge: Cambridge University Press.

Lowe Jr., Pardee & Stansfield, Charles W. (1988). Second Language Proficiency Assessment: Current Issues. New York: Prentice Hall.

North, Brian. (2000). The Development of Common Framework Scale of Language Proficiency. New York: Peter Lang.

Richards, Jack C. & Schmidt, Richard. (2002). Longman Dictionary of Language Teaching and Applied Linguistics. New York: Routledge.